النقد التفاعلي (التواصلي)

د. فريدة لامين المصري•

مقدمة

من الوسائل الضرورية التي احتاج إليها الإنسان عبر العصور فتح قنوات تواصل بالطرف الآخر الذي تعامل معه، سواء في السلم أو الحرب، أو لتوصيل وجهة نظر أو رسالة، أو التعبير عن شعور أو رأي أو فكرة، و هذه الحاجة جعلته يبتكر وسائل لا حصر لها لإتمام عملية التوصيل هذه، من البريد إلى المبرق إلى الهاتف، و غيرها من هذه الوسائل .

ولكن الطموح الإنساني لا يتوقف عند نقطة معينة، فقد ناضل العقل البشري من أجل فتح آفاق أكثر شمولا، وأقصى سرعة، فاكتشف الحاسوب الثابت، ثم المحمول ، والهاتف النقال بأنظمته المتنوعة و المنفتحة على مساحات، وعوالم مختلفة، ومن خلالها تم اكتشاف عالم اتصالات جديد – لا تحدّه حدود – اقتحم العالم أجمع مع الألفية الثالثة.

ولذلك فلن يكون باستطاعة الفكر والثقافة والأدب والنقد النأي بأنفسها عن هذا العالم الجديد الذي اقتحم حياة البشر في كل مكان، لذا فإن الأديب والناقد أيضا حاولا الاستفادة من هذه الوسائل المتاحة، والأكثر شعبية بصورة أكثر من الكتاب الورقي . فقد شهدت الألفية الثالثة تطورا كبيرا و سريعا على المستوى التقني أدى إلى سرعة وصول الخبر من أماكن جد بعيدة، وتطلّب هذا الانتقال المعرفي التقني حرص الناس على مواكبته، من أجل الوصول الأسرع إلى المعلومة، و إمكانية سرعة التواصل مع الآخر في تحدي لتجاوز المسافات و اختصار الوقت و ادخار الجهد .

مفهوم النقد التفاعلي

1- التفاعل في اللغة :

تطلق كلمة التفاعل على تأثر شيئين ببعضهما البعض، و تستخدم في العلوم التطبيقية عنما تتفاعل المـــــــواد الكيميائية ببعضها، كما تطلق على التأثر بحدث ما فنقول : تفاعـــل مع الحـــــــــــــدث أو تفاعـــل مع الخبر عندمـــا يحـدث تأثير عليه ويدفعه إلى تصرف ما (https://www.maajim.com/dictionary/%D8%AA%D9%81%D8%A7%D8%B9%D9%84)،مصدرها تفاعُل

• استاذ مشارك - كلية اللغات جامعة طرابلس

، ومتفاعل اسم الفاعل منها، ومنها التفاعل الكيميائي، أو التفاعل الثقافي أو الاجتماعي وهو تأثر الثقافات والمجتمعات بعضها ببعض(https://www.maajim.com/dictionary/%D8%AA%D9%81%D8%A7%D8%B9%D9%84)، وفي المعجم الغني : تفاعلت المادتان أي تداخلتا أي أثرت كل واحدة في الأخرى، و أصبح بينهما تفاعل مستمر أي تأثير متبادل(أبوالعزم،2001)، وجاء في معجم الرائد استخدام المفردة في التربية عندما يكون نمو الشخصية حصيلة لتأثر الطبع والتطبع أحدهما بالآخر(جبران، 1965)

2- في الاصطلاح :

لا شك أن هذا المصطلح يتكون من كلمتين : نقد و تفاعل، و بالتالي فإن هذا النقد يهتم بتتبع النصوص الأدبية التي تندرج تحت مسمى التفاعلية، التي ظهرت بظهور وسائل التواصل الاجتماعي إبان الثورة التقنية في عالمنا المعاصر، و لا شك أيضا أن هذه الوسائل شكّلت ما يُعرف بالوسائط المتعددة لنشر الثقافة و المعرفة بين جمهور المتلقين، و يطلق على الأدب الذي يهتم به هذا النوع من النقد (الأدب التفاعلي)، و (الأدب التواصلي)، و (الأدب الرقمي)، و (الأدب الالكتروني)، و (الأدب أو النص التشعبي) و قد وردت هذه المسميات في الدراسات النقدية التي تناولت النصوص الأدبية الرقمية بالدراسة و التحليل .

و قد جاءت تسمية الأدب التفاعلي من خلال دمج كلمتي : أدب و تفاعل،

و بحسب الناقد سعيد يقطين فإن هناك فرقا بين النص المرقم والنص الرقمي، و بين الترقيم والكتابة الرقمية، فالترقيم عنده هو عملية تحويل النص المقروء (المطبوع، ونضيف إليه المخطوط أيضاً) أو المسموع (الشفوي) ليصبح قابلاً للمعاينة والسماع من خلال شاشة الحاسوب. ومن ثمّة في الفضاء الشبكي .أمّا الكتابة الرقمية فهي تتحقق عندما ننتج نصاً ليتلقى على شاشة الحاسوب، موظفين كلّ الإمكانيات التي يوفرها لنا الحاسوب(صديقي، 2015).

نشأة النقد التفاعلي

كأي فرع من فروع المعرفة، يسبقه دائما إرهاصات و أساسيات لبنائه، و كأي نوع من أنواع النقد و نظرياته يسبقه دائما الاتجاه الأدبي الذي تفرضه المرحلة و الحقبة التاريخية التي يعيشها البشر، و كما أن النقد التاريخي و الاجتماعي و كذلك النفسي خرج من عباءة الكلاسيكية، و الرومانسية، و خرج النقد البنيوي من عباءة الحداثة، ثم النقد الجديد من ما بعد الحداثة، و في حين أن عصرنا هذا شهد ثورة معلوماتية كبيرة فقد كان من الضروري وجود أدب يتواصل مع قرائه عبر الأدوات التي وفرتها هذه الثورة،

والتي جعلتها في متناول الجميع، الأمر الذي جعل من العالم قرية واحدة في العالم الافتراضي، و كان لابد لهذا الأدب من وجود متتبعين و قراء، الأمر الذي يجعل من النقد التفاعلي يفرض نفسه على الساحة النقدية .

إن الوسائل التقليدية التي يتم بواسطتها وصول العمل الأدبي إلى المتلقي لا توفر مبدأ التفاعلية كما يحدث بفعل الوسائط المتعددة التي يُعد التفاعل فيها أهم عنصر، ففاعلية الإعجاب أو عدمه، وفاعلية التعليقات على النصوص من قبل القراء تتوفر في هذه الوسائط من فيس بوك و تويتر و يوتيوب وغيرها مما يستخدمه الكتّاب قناة تعبر من خلالها الرسالة بين المرسل والمستقبل. وإذا كان هناك تخوّف من بعض النقاد من عملية تأثير التقنية على الأدب والإبداع من مثل الناقد هايس روث الذي شكك في التطرف في تطبيق التقنية على الأدب و توقّع أن يكون لها تأثير على اغتراب المتلقي عن الأدب الحقيقي والحياة الحقيقية .(ملحم، 2013. ص 62)

ومع كل هذا التخوّف فإن الأدب التفاعلي بدأ يفرض نفسه على الساحة الأدبية، ولا يمكن تجاهل وجوده فنجد جامعات شرعت في تدريسه لطلابها كي لا يخرج عن سيطرتها وكي تستطيع توجيهه التوجيه الأمثل، و من هذه الجامعات : جامعة الإمارات العربية المتحدة التي بدأت فعلا في تعليم مهارات هذا الأدب وأصول نقده (ملحم، 2013. ص 50)

الأدب التفاعلي العربي

مرّ الأدب العربي بعدة مراحل ، وكان خير معبّر عن حياة الفرد و قضايا المجتمع، وكلّما تطور المجتمع، و تطورت أساليب حياته كلما انبثق عن ذلك التطور أدب مواكب إلى هذه الحالة، وكما عبرت القصيدة العربية قبل الإسلام عن حياة البدوي في استقراره وترحاله، وفي أيام سلمه وأيام حروبه، وعبرت عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في عصر صدر الإسلام وما جاء بعده من عصور، والتطور الذي طرأ عليها من ناحية الأفكار وطرائق التعبير بفعل التلاقح الثقافي الناتج عن الترجمة، وتبادل الحضارات .

ومما لا شك فيه أن الأدب التفاعلي يختلف تماما عن الآداب التي سبقته، من الآداب الكلاسيكية والرومانسية والواقعية والرمزية والعبثية و غيرها، تلك التي كانت تسميتها منسوبة إلى مضمون رسالتها، والقيم التي تدعو إليها، و الاتجاه الذي يحمله الكاتب ويحاول أن يعيد إنتاجه و تقديمه إلى القارئ في شكل قصيدة أو قصة قصيرة أو رواية أو مسرحية، حيث إن الأدب التفاعلي أخذ تسميته من الوسيلة المستخدمة لتوصيل رسالته عبرها إلى المتلقي، في حين أن هذا الأدب يشمل كل الاتجاهات سابقة

الذكر في أجناسها المتعددة، فقد نجد رواية واقعية تفاعلية، و قد نجد قصيدة رومانسية تفاعلية، أو مسرحية رمزية تفاعلية، إلى غير ذلك من هذا التنوع و التعدد في الاتجاهات و الأفكار و المضامين و الأشكال التي يزخر بها الأدب، مع اختلاف أداة التوصيل المعتمدة أساسا على التقنيات الحاسوبية من صورة و صوت و إخراج .

وكما استفاد الأدب التفاعلي أدوات الحاسوب في مجملها، استطاعت هذه التقنية أيضا أن تهبه الحرية في التعبير عن قضاياه، بعيدا عن مقص الرقيب المهيمن على المطبوعات الورقية، كما أتاحت هذه الوسائل الفرصة لكّتاب كانوا أقل حظا في الانتشار من آخرين قد يكونوا أقل مستوى منهم، فلم يعد الانتشار حكرا على شخصيات معينة لها توجهات ربما خدمت انتشارها، كما حققت للمتلقي فرصة إبداء رأيه تزامنيا، و بالتالي يتحقق جانب كبير من الديمقراطية بين المؤلف (المرسل) والمتلقي (المستقبل) مهما بعدت المسافة بينهما .

بيد أنه ليس كل نص يُنشر من خلال الوسائط التقنية المتعددة يكمن اعتباره نصا تفاعليا، أو رقميا، ذلك أن من شروط العمل الأدبي الرقمي توفره على جمل تحيل القارئ على نصوص أخرى، و تسمى هذه العملية بالنص المتفرع، حيث "تعد وفرة تقنية النص المتفرع منح المتلقي فرصة الإبحار و التجوال في عالم النص الأدبي، من خلال تحريكه للمؤشر عبر التحكم بواسطة الفأرة على الأيقونات التي تمثل المجرى الذوقي و النفسي الذي يحبذه المتلقي" (عبد الله، 2017، ص74)، فيكون بذلك هناك نص ظاهر و آخر باطن، حيث تقودك كل كلمة في الومضة الشعرية إلى ومضة أخرى تبدأ بنفس الكلمة .

إن النص التفاعلي لا يمكن أن يتصف بالأدبية إلا اعتمادا على الكلمة المؤثرة فالتقنية بمفردها لا يمكن أن تنتج نصا أدبيا، شعرا كان أم قصة أم رواية، على الرغم من تمازج الأجناس الأدبية في جنس النص التفاعلي، وإزالة الفواصل بينها، ومحاولة دعم الكاتب التفاعلي نصه بمزيج يجعل النص خصبا. (ملحم، 2013،ص26) و بهذا فإن الأدب الرقمي أو التفاعلي هو الأدب الذي يجمع بين تقنيات الكتابة الأدبية وأدوات التقنية الحاسوبية لتشكلان معا نصا موجها للمتلقي أبجديته تناغم الكلمة والصوت والصورة معا .

ومن الكتّاب العرب الذين يمكن اعتبارهم كتّابا تفاعليين الشاعر العراقي مشتاق عباس معن الذي تعد تجربته الأولى في مجالها، والشاعرة السودانية روضة الحاج، و الشاعرة الإماراتية حمدة خميس، و من الجدير بالذكر أن هؤلاء الكتّاب يستخدمون مصطلحات التقنية في أعمالهم الأدبية و خاصة في عناوين القصائد و الدواوين، هذه المصطلحات التي فرضت نفسها على واقعنا العربي من خلال هجرتها من مواطنها الأصلية إليه مصاحبة لحركة التجارة المختصة بالحواسيب و أجهزة الهواتف النقالة، و ذلك

كما فعل مشتاق عباس معن الذي اختار عنونة ديوانه الرقمي ب (تباريح رقمية لسيرة بعضها أزرق)، الذي يُعد أول تجربة شعرية تفاعلية على مستوى الشعر التفاعلي، و كما فعلت حمدة خميس التي اختارت (اس ام اس) عنوانا لديوانها الرقمي الذي كتبته مباشرة من الهاتف الخلوي في ردها على مجموعة من الرسائل النصية .(عبد الله،2017،ص38)

وعلى مستوى الرواية نسجل تجربة الروائي الأردني محمد سناجلة رئيس اتحاد كتاب الانترنت، الذي نشر أول رواية تفاعلية في الوطن العربي بعنوان (ظلال الواحد) التي صدرت نسختها الرقمية عام 2001 ونسختها الورقية عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت عام 2002م، وفازت بجائزة المبدعون العرب من دولة الامارات العربية المتحدة عام 2002، وله رواية رقمية أخرى اختار لها عنوانا دالا على ارتباط العمل بالعالم الرقمي (شات) صدرت سنة 2005 على موقع اتحاد كتاب الإنترنت العرب ، ويعد سناجلة مؤسس مصطلحي الرواية الواقعية الرقمية والأدب الواقعي الرقمي (إدريس، 2011)' والروائية السعودية رجاء عبد الله الصانع في روايتها بنات الرياض .

النقد التفاعلي العربي

ولد النقد التفاعلي من تتبع أدب الأجهزة الذكية، فقد استقى مادته الأولية من خلال شاشات الحواسيب و الهواتف الخلوية، و في حين أن النتاج الأدبي التفاعلي لا يزال حديثا، و لم يتوفر فيه كم كبير من النصوص، يظل النقد المتابع لهذه الحركة الأدبية الجديدة يسيرا، و تعد التجربة النقدية التفاعلية في بداياتها من حيث الكم و من حيث الكيف،

وعلى الصعيد النقدي التفاعلي نجد عدة دراسات و إن كانت قليلة فإنها تحاول ترسيخ قيم جديدة للنقد الأدبي، هذه القيم ما هي إلا مقاييس و معايير أضيفت إلى النقد ليلائم الأدب التفاعلي، و من هذه **المحاولات :**

أولا : ما قام به محمد سناجلة في كتابه الرواية الرقمية الواقعية و الذي سلط فيه الضوء على مدى تغير العالم من حولنا مع اندلاع ثورة المعلوماتية، هذا التغير الذي شمل الزمان و الجغرافيا و كذلك الإنسان، فالرواية الرقمية تختلف عن الرواية التقليدية في شكلها و مضمونها و ارتباطها بالجغرافيا و التاريخ، و ذلك في معرض تنظيره للرواية الرقمية عندما يقول : "لقد كانت الرواية القديمة تنطلق من الحلم أما الرواية فتنطلق من المعرفة، و هذه الرواية مغامرة في الزمن الرقمي الافتراضي، و في المكان الرقمي الافتراضي ، و في الواقع الرقمي الافتراضي، ذلك لأنه ليس إلا الخيال الذي هو معرفة"(سناجلة، ص 32). كما تحدث عن لغة الرواية الرقمية و اشترط فيها ست نقاط :

1- أن الكلمة جزء من كل يشمل الصوت و الصورة و المشهد السينمائي و الحركة .

2- ترسم الكلمات مشاهد ذهنية و مادية متحركة .

3- أن تكون لغة سريعة مباغتة لا مجال للتأني فيها تعتمد على كلمات لا تتجاوز خمسة حروف و لا تتجاوز الرواية كلها مائة صفحة .

4- الجمل أيضا تكون قصيرة سريعة و مختصرة لا تتجاوز أربع كلمات .

5- لغة الروائي الرقمي تحتاج دائما إلى تطوير أدواته الرقمية إلى جانب الكلمة .

6- نمط الرواية الرقمية لا يتسع له الكتاب المطبوع بسبب التقنيات المعتمد فيه .(سناجلة، ص 96 – 97)

ثانيا : ما قام به الناقد إبراهيم ملحم في كتابه الأدب و التقنية مدخل إلى الأدب التفاعلي الذي أوضح فيه المعيار النقدي الذي ينبغي على الناقد التفاعلي اتباعه، ذلك المعيار الذي يندمج فيه النقد الأدبي مع النقد الفني (ملحم، 2013،ص59) ، كون النص الأدبي التفاعلي يُقدم بمصاحبة الصورة و الصوت و غيرها من الإمكانيات الجمالية التي توفرها له التقنية الحديثة .

ثالثا : أما دراسة الباحثة وفاء مبروكي (النقد التفاعلي إشكالية المصطلح و أزمة المنهج) فقد حاولت فيها التركيز على توضيح مصطلحات النقد التفاعلي، والخصائص و المميزات التي ميزته عن باقي أنواع النقود .

رابعا : هناك بعض التجارب التي تحاول تدشين طريقا نقديا يعمل على قراءة بعض النصوص التفاعلية بأسلوب لا يرقى إلى المستوى النقدي القائم على التحليل، و سبر أغوار النص، بل يكتفي بعرض الطريقة و الأسلوب المستخدم في كتابة النص، و توضيح الصورة التي يظهر عليها في الجهاز، و كيف ينقلك النص عبر نوافذ إلى نصوص باطنية غير مرئية في النص الظاهر، هذا من جانب و من جانب آخر فإن هذه المحاولات لم تكن تفاعلية بحسب مفهوم التفاعل كما ورد في تبيان المصطلح، و إنما كان مجرد كتابة تقليدية لا يربطها بالتفاعلية سوى النص الذي تدور حوله الدراسة، و من هذه التجارب ما قام به الباحث زين العابدين أبكر محمد عبد الله في تطبيقه النقد الثقافي التفاعلي على قصائد روضة الحاج التفاعلية، و الذي اعتمد في بحثه على الدراسات السابقة و أشار إلى أنه يرى أن دراسته هذه يجب أن تطبق دراسة نقدية تفاعلية ثقافية (ملحم، 2013،ص63)

بالإضافة إلى بعض المقالات و الدراسات المنشورة في المجلات الالكترونية .

و إن كانت هذه الدراسات قد نظّرت للنقد التفاعلي من حيث المصطلح و المفهوم و التوصيف، فقد جاء الجانب التطبيقي لها مقتضبا، إلا أنها فتحت الباب للمهتمين و الباحثين عن الجديد في الدراسات النقدية، و بذلك كان لها فضل في تقديم هذا النوع من النقد، ليقوم باحثون آخرون بإثراء هذا المجال من الدراسات من خلال إرساء ثقافة رقمية جديدة تصل إلى المتلقي أينما و وقتما وجد .

خاتمة

ونحن نعيش عصر الرقمنة بامتياز، و لا زالت التقنية و ثورة المعلومات تسير في نهج التطوير المستمر، حيث يشكّل الإنتاج الأدبي التفاعلي قاطرة لتوصيل الرسالة للمتلقين، خاصة جيل الشباب الذين يستمدون ثقافتهم و معارفهم عن طريق شبكة المعلومات، فإنه لا مناص للنقاد من متابعة ما يجري حولهم في العالم الافتراضي و الذي يهيمن الآن على حياة البشر الواقعية، و محاولة مواكبة النصوص المبثوثة عبر الوسائط المتعددة لتشكيل تيار نقدي يقترب أكثر من المتلقين، يتفاعل معهم ، و يتفاعلون معه من أجل تحقيق قدر من الديمقراطية.

والحوار بين الكاتب والمتلقي وكذلك الناقد، لذلك على الجامعات مواكبة هذا التطور السريع في انتشار الأدب، وأخذ الموضوع على محمل الجد من الناحية النقدية الموائمة له، وتمكين طلاب الدراسات الأدبية والنقدية من معرفة التعامل مع الأجهزة الذكية المختلفة، واستخدامها في دراسة النصوص الرقمية، كونها واقعا جديدا فرضته عجلة التقدم مع دخول الألفية الثالثة .

قائمة المراجع :

1. إبراهيم أحمد ملحم (2013).الأدب والتقنية (مدخل إلى الأدب التفاعلي) .– الأردن:عالم الكتب الحديث.
2. عبد النور إدريس (2011) ."حوار مع الروائي الأردني محمد سناجلة" .– في ندوة أقامتها مجلة دفاتر الاختلاف الالكترونية.– متاح على الرابط : http://cahiersdifference.over-blog.net/pages/_-4386790.html
3. زين العابدين أبكر محمد عبد الله (2017) .النقد الثقافي التفاعلي، دراسة تطبيقية على شعر روضة الحاج (رسالة ماجستير)
4. محمد سناجلة (د–ت) . الرواية الواقعية الرقمية (كتاب رقمي).– متاح على الرابط : http://www.arab-ewriters.com/booksFiles/5.pdf
5. علي صديقي (2015) ." الكتابة الرقمية عند سعيد يقطين".– مجلة "يتفكرون، ع6.– متاح على الرابط :

http://darfikr.com/article/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%82%D9%85%D9%8A%D9%91%D8%A9-%D8%B9%D9%86%D8%AF-%D8%B3%D8%B9%D9%8A%D8%AF-%D9%8A%D9%82%D8%B7%D9%8A%D9%86

6. معجم اللغة العربية المعاصرة.– متاح على الرابط : https://www.maajim.com/dictionary/%D8%AA%D9%81%D8%A7%D8%B9%D9%84
7. المعجم.– متاح على الرابط : https://www.almougem.com/mougem/search/%D8%AA%D9%81%D8%A7%D8%B9%D9%84